الصمت ودلالاته في الشعر العربي القديم

Silence and its implications in ancient Arabic poetry

م.د. وصال قاسم غباش

جامعة واسط –كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث:

يعد مصطلح الصمت من المصطلحات المهمة التي وردت في الشعر العربي،وقد اسُتعمل بألفاظ متعددة ومعانٍ مختلفة،إذ وظفه الشعراء العرب القدماء للتعبير عن مشاعرهم ونفسياتهم.

جاء هذا المصطلح في مختلف الأغراض والموضوعات ،إذ ورد في شعر الغزل، وكذلك في المدح، وفي شعر الحكمة والنصيحة وغيره من الأغراض، فكان هذا البحث محاولة متواضعة لتسليط الضوء على دلالات الصمت وألفاظه في الشعر العربي القديم . تناول البحث في المدخل مصطلح الصمت في اللغة والاصطلاح، وكذلك وروده في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وفي الأمثال العربية، وبعد ذلك تناول البحث وروده في الشعر العربي القديم، إذ ورد في الشعر الجاهلي وكان وروده في العصر الإسلامي يختلف عن العصر الجاهلي، ثم كثر المصطلح في العصر الأموي والعباسي وفي مختلف الأغراض والدلالات، وهذا ما سيوضحه البحث .

Research Summary

the Term silence is an important terminology in ancient Arabic poetry

this term came in the prelude introductions as mentioned in the spinning hair as well as in praise and in the poetry of wisdom, advice and other purposes was the research a modest attempt to highlight the semantics of silence and rudeness in the ancient Arab poetry.

The research dealt with the term silence in the language and terminology as well as its presence in the Quran and Hadith in the Arabic proverbs. Then, the research dealt with arrival in the ancient Arabic poetry as mentioned in the ignorant poetry

and various purposes and indications and this will be clerified research.

المقدمة:

يعد مصطلح الصمت من المصطلحات المهمة التي وردت في الشعر العربي،وقد استُعمل بألفاظ متعددة ومعانٍ مختلفة،إذ وظفه الشعراء العرب القدماء للتعبير عن مشاعرهم ونفسياتهم.

كان استعمال الشعراء لهذا المصطلح بألفاظ وأساليب مختلفة منها الصموت والسكوت والكتمان، كما لجأ الشعراء إلى أسلوب الإشارة للتخاطب بدلاً من الكلام للتعبير عن مشاعرهم .

وقد قُسم البحث إلى مدخل تحدثت فيه عن مصطلح الصمت في اللغة والاصطلاح، وكذلك وروده في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وفي الأمثال العربية، وكتب البلاغة والأدب، وبعد ذلك تناول البحث وروده في الشعر العربي القديم، فجاء في موضوعات ودلالات منها دلالة الإشارة في شعر الغزل، والدلالة على الجواب في شعر الحكمة والنصح والإرشاد، وكذلك الدلالة على الابتعاد عن الزلل في أشعار أخرى ،وقد ورد التأكيد على ترك الصمت وذمه في مواضع معينة وهذا ما سيوضحه البحث.

was received in the pre-Islamic era and then many of this term in the Umayyad and Abbasid ere

مدخل:

الصمت من المصطلحات المهمة في اللغة العربية وقد استعمل بلفظه أو مرادفاته أو معانيه بكثرة في الشعر القديم .

فلذلك قبل البدء بالحديث عن استعمال الصمت في الشعر القديم لابد من معرفة معنى كلمة الصمت ودلالاتها في المعجمات العربية وبعد ذلك أهميته في القرآن الكريم ،والحديث الشريف ومعانيه، ثم نظرة سريعة في كتب البلاغة والأدب.

إذ جاء في المعجم أن((الصاد والميم والتاء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على إبهامٍ وإغلاق))[١]، وجاء الصمت بمعنى السكوت ،فالصَمَت والصُّمُوتُ والصُّماتُ: وصمت يصمت بمعنى سكت، والتَّصْميتُ: التَّسْكِيت، أو السكوت[٢]. ويقال لغير الناطق: صامت، وأصمتُّهُ أنا إصماتاً إذا أسكتُّهُ[٣]. ويُقال:((للرجل إذا أُعتقل لسانُه فلم يتكلّم: أَصْمَتَ، فهو مُصْمِتٌ))[٤]. أن الصَّمت يعني السكوت سواء أكان عن قدرةٍ أم عدمها أم عن عجز، أو قد يكون((نقيض الكلام والنطق أو هو عدم الكلام وغياب التصويت))[٥]، إذن جاء الصمت بمعنى السكوت أو عدم النطق والكلام.

وقد ورد الصمت والسكوت في القرآن الكريم بلفظ (البكم) ،إذ جاء في آيات عديدة منها قوله سبحانه وتعالى:﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٦]، وقوله تعالى:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٧] ،فكان معنى البكم هو عدم القدرة على النطق بمعنى الأخرس.

وكذلك ورد الصمت في الحديث الشريف ،وكان له أهميته وقيمته العليا ودلالته على الحكمة والعقل والعلم والعزلة التي كثيرا ما أكد عليها الإسلام من خلال الحديث النبوي الشريف، وكلام الأئمة (عليهم السلام)، إذ قال الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم):((الحكمة عشرة أجزاءٍ: تسعةٌ منها في العزلة، وواحدٌ في الصَّمت))[٨] ، فقد جعلها جزءاً من الحكمة مما يدل على أهمية الصمت وأثره ، وقوله:((رحم الله عبداً تكلّم فغنم، أو سكت فسلم))[٩] ،فوجد أن السكوت يؤدي إلى السلامة والأمان، وجاء عنه أيضاً:((من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))[١٠] .فهو يرى أن لم يكن الكلام يقصد من ورائه الخير والسلام فالصمت هو الأفضل، ويقول الإمام الرضا (عليه السلام):((إنّ الصَّمت بابٌ من أبواب الحكمة))[١١]،فقد جعله من أبواب الحكمة وذلك دلالة على قيمته العليا في الإسلام ودلالته على العقل والحلم.

أما أهمية الصمت ودلالته في كتب البلاغة والنقد فقد تحدثت هذه الكتب عن معنى الصمت ودلالته، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ ،فقد ورد الصمت ودلالته بكثرة في كتبه ،إذ جعل الإشارة والنصبة من دلالات البيان فيقول:((فأمّا الإشارة باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمَنْكِب إذا تباعد الشخصان))[١٢]، فجعلها بديلا عن كلام اللسان ،وكانت وسيلة للتعبير في حالة صمت اللسان ،كما ذكر قول ابن المقفع الذي يجد أن السكوت نوع من البلاغة إذ يقول:((البلاغة اسم جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرةٍ فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع))[١٣]، أي جعل للسكوت معنى يدل على البلاغة ،وأيضاً الإصغاء والاستماع يدل على معنى وهو وجه من وجوه البلاغة . واستعمل الجاحظ مصطلح الصمت بمعنى السكوت وعدم النطق فكان يفضله ويمدحه مرة إذ يقول:((كان أعرابيً يجالس الشَّعبيَّ فيطيل الصَّمت، فسئل عن طول صمته فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم))[١٤]،وكذلك قوله:((لو كان الكلام من فِضة لكان السُّكوت من ذَهَب))[١٥].ويذكر الجاحظ أسباب الصمت ودوافعه وحالاته فيرى أن هناك صمت العي

والرهبة والعجز والخوف، وهناك صمتاً آخر يجده الجاحظ خطة يلجأ إليها الإنسان عندما لا يكون هناك بديلا فيحصل عن طريق الصمت ما عجز عن نيله بالكلام إذ يقول: ((واعلم أنَّ الصَّمت في موضعه ربِّما كان أنفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه وعند إصابة فرصته، وذاك صمتُك عند من يعلم أنك لم تصمت عنه عيّاً ولا رهبةً))[١٦]،فكان الصمت عنده يؤدي إلى منافع كثيرة وقد تكون أكثر من الكلام، إذ يؤكد على الصمت في الوقت المناسب وهو أسلوب يلجأ إليه العاقل، وهنا تكون دلالة الصمت ابلغ وأعظم من الكلام.

ويستعمل البلاغيون مصطلح الإشارة أيضاً وهي الإيماء يقال أشار باليد أو أومأ وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيده .ويقول الجرجاني : ((والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))[١٧].إذ يشير إلى فائدة الصمت في موضعه وهو في مواضع معينة يؤدي وظيفة تعادل وظيفة النطق والبيان، أما قدامة بن جعفر فيرى الإشارة :((أنْ يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها ولمحة تَدُلُّ عليها))[١٨]،فهذه الأقوال وغيرها تدل على ورود مصطلح الصمت في الكثير من المصادر القديمة وتركيز القدماء عليه .

أما مصطلح الصمت عند الشعراء فقد ورد في أغراض متعددة ودلالات مختلفة نذكر منها:

الغزل

يمتاز الصمت في شعر الغزل بصورة جميلة تختلف عن الصمت في موضوعات الشعر الأخرى، وذلك لأن لجوء الشاعر إلى الصمت تتطلبه مشاعر الحب وضرورة كتمانها عن الآخرين، حماية للحبيبة وسمعتها بين الناس، وكذلك خوف الشاعر من أهلها ومن الآخرين ومن ذلك نجد قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خَشْيَةَ أَهْلِها ... إِشَارَةَ مَحْزُونٍوَلَمْ تَتَكَلّمِ
فَأَيْقَنَتَ أَن الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً ... وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالحَبِيبِ المُتَيَّمِ[١٩]

رسم الشاعر صورة للصمت وذلك لخوف لحبيبته من أهلها فهي استعملت لغة الإشارة، والشاعر قد تلقى هذه الرسالة ،وترجمها على أنها تحية له من حبيبته وترحيباً به، وهي صورة جميلة من صور العفة والكتمان والتعبير عن معنى هذه الإشارة . مما يدل على فهم لغة الإشارة بينه وبين حبيبته من دون الحاجة إلى الكلام وذلك بسبب خوفها

من أهلها، فهو قد اكتشف الحزن والألم الذي تشعر به من خلال هذه النظرة .

قال الشاعر كثير بن عبد الله:

لعمري ما استودعت سري وسرها ... سوانا حذار أن تشيع السرائر
ولا خاطبتها مقلتاي بنظرة ... فتعلم نجوانا العيون النواظر
ولكن جعلت اللحظ بيني وبينها ... رسولا فأدى ما تجن الضمائر[٢٠]

وظف الشاعر حفظ السر والصمت عنه وكتمانه في هذه الأبيات، ليرسم صورة لطريقة أخرى للتواصل مع الحبيبة، فقط النظر وحتى استعمل الشاعر صمت العيون، واكتفى بنظراتها من دون الكلام، فوصل خوفه على حبيبته حتى من ان تفضح سره نظراته التي كانت مليئة بالحب والود، وكان يجد أن النظر يكفي ليصل ما يريد إيصاله في ضميره إلى حبيبته، فابتعد الشاعر عن كلام العيون وهي صورة موحية عبر بها الشاعر عن حرصه على حبيبته، وكتمان مشاعرهما عن الآخرين حذار من الوشاية واللوم .

وقالت ليلى العامرية :

كِلانا مُظهِرٌ للناس بغضّاً ... وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ
تُبلِّغُنا العيونُ بما أردنا ... وفي القلبين ثَمَّ هَوًى دَفِينُ
وأسرارُ الملاحظِ لَيْسَ تُخفى ... إذا نَطَقَتْ بما تخفي العيونُ[٢١]

لجأت الشاعرة إلى لغة العيون في التعبير عن الحب والتواصل مع حبيبها، وقد أظهرت البغض والعداوة له أمام الناس؛ لكي تخفي مشاعر الحب، وهي صورة من صور الصمت عندما يصمت اللسان وتنطق العيون التي تظهر مشاعر الحب والشوق والقدرة على التواصل مع الحبيب ،فالشاعرة اخفت مشاعرها أمام الناس وكتمتها فلم تعبر عنها أو تظهرها من خلال كلامها أو البوح بأسرار الحب، وإنما أخفتها عن الناس من أجل الحفاظ على هذا الحب وديمومته؛ لأن الوشاة تحاول منع هذا الحب وتفريقهم .

أما للصمت عند بشار بن برد صورة أخرى، إذ يقول:

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أَنَمْ ... ونَفَى عني الكَرى طيفٌ أَلَم

وإذا قتُ لها جُودي لَنَا خَرَجَتْ بالصَّمتِ عن لا ونعم[٢٢]

وظف الشاعر الطيف في هذه الصورة الجميلة، فمحبوبته التي جاءت في طيفه التزمت الصمت ولم تجبه بـ(لا ونعم)،فطيف حبيبته أبعد النوم عنه، فحبيبته قد بخلت عليه بالحديث حتى في المنام، وهي صورة لمعاناة الشاعر مع حبيبته ،وعدم استجابتها بالحديث إليه بقولها نعم أو لا، وهي صورة من صور الصمت المكثفة المختصرة في كلمتين فقط، وقد استعمل الشاعر هذه الكلمتين للدلالة على الإيجاز، وبخلها عليه على الرغم من هذا الإيجاز، فهو لم ينتظر منها حديثا طويلاً، وإنما حديثاً أو إجابة بـ(لا أو نعم)، وقد بخلت عليه بهما، فمعنى الصمت واضحاً في هذا البيت، وأشار إليه الشاعر بصورة جميلة تدل على شدة اشتياقه ولوعته وحنينه إلى محبوبته .

ويقول العباس بن الأحنف :

لا جزَى اللهُ دَمْعَ عينيَّ خيراً وجزى اللهُ كُلَّ خيرٍ لِسانِي
نَمَّ دمعِي فليس يَكتمُ شيئاً ووجدتُ اللسانَ ذا كِتمان
كنتُ مِثلَ الكتابِ أخفاهُ طَيُّ فاستَدلُّوا عليه بالعُنوان[٢٣]

وهذه صورة من صور الصمت، وهو صمت اللسان فلسان الشاعر قادر على الكتمان، وعاتب الشاعر دموع عينه التي تفضح حبه وعشقه، الذي أراد إخفائه عن الآخرين خشية اللوم فيصف نفسه ويشبهها بالكتاب المخفي الذي يخفي ما بداخله، ولكنه تم الاستدلال عليه من العنوان، أي أن الشاعر أراد إخفاء حبه ولم يتحدث عنه، ولكن دمع العين قد فضحه، وأعلن ما كان مخفي عنده وهي صورة عبر عنها الشاعر عن معاناته في الكتمان.

وقال العباس بن الأحنف أيضاً:

تَرَجَمَ طرْفي عَنْ لِساني لتعلموا وَيبدو لكم ما كانَ صدري يكتمُ
ولمَّا التقينا والدموعُ سواجمٌ خرستُ وطرفي بالـهوى يتكلَّمُ
إشارتنا في الحبِّ غمز عيوننا وكلَّ لبيب بالإشارة يفهمُ
حواجبنا تقضي الحوائجَ بيننا ونحنُ سُي كوتٌ واهوى يتكلَّمُ[٢٤]

يصف الشاعر هنا لحظة اللقاء والدموع منهمرة فلم يستطع النطق وترك لعينه الكلام، والتعبير عن المشاعر، وكانت الإشارة إلى الحبيب في الغمز، وهذا الحبيب لابد له من فهم الإشارة ،فكانت الحواجب هي التي ترسم الكلام والإشارة، أما اللسان فصامت، وكان الحديث للحب والعشق ،فرسم صورة للحب الذي يجعل اللسان عاجزاً عن الكلام، ويستعمل الشاعر لغة الإشارة وهي الغمز وتحريك الحاجب في إيصال مشاعره وحبه.فجاء توظيف الشاعر للصمت بصورة موحية في التعبير عن هذا الحب وترك الكلام للحب والهوى لإظهار المشاعر .

وقال البحتري :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ، وحَرَّمتْ ... بِلاَ سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلاَمِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتِهِ بمُحَلَّلٍ ... وَلَيْسَ الذي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ[٢٥]

كان صمت الشاعر في هذه الأبيات عن ليس عن رغبة منه، ولكن كان طلباً من حبيبته، أي أنها منعته من البوح بما يشعر به والتعبير عن حبه، وأحلت دمه من غير ذنب أو خطيئة قام بها أو اقترفها، ولكن الصمت كان يوم اللقاء فقط ،فهي أحلت دمه من غير ذنب، ولكن حرمت كلامه ،وهي صورة تعبر عن معاناته مع هذه الحبيبة التي تمنعه الكلام والتعبير عن مشاعره لها.

وقال شاعر آخر:

إذا التوديع أقبل قال قلبي ... عليك الصمت لا صاحبت فاكا[٢٦]

لا شك في أن لحظة الوداع هي من اللحظات المؤلمة على الشاعر؛ لوداعه حبيبته فكان لابد لقلبه أن يطلب الصمت، وعدم نطق الوداع، وهي صورة مؤلمة من صور الحب والحزن الذي يعانيه الشاعر لحظة الوداع . وظف شعراء الغزل الصمت من خلال اللجوء إلى لغة الإشارة أو كلام العيون للتعبير عن مشاعرهم، ومواقف اللقاء والوداع وغيرها من المواقف التي ظهرت فيها لغة الإشارة التي كانت تعويضاً عن الصمت الذي احتاجه الشاعر في تلك المواقف .

الجواب في الصمت

يحتاج الإنسان إلى الصمت في بعض المواقف ،ويكون هو الجواب والرد على الشخص الآخر لأسباب متعددة ،ويكون دليلاً على رجاحة العقل والحلم ومنجاة من المهالك، وقد استعمل الشعراء الصمت وسيلة للإجابة وطريقة للرد عندما يكون الكلام لا

يؤدي الغرض منه، فالصمت هو الجواب، وربما يكون الكلام نتائجه سيئة، فلذلك قد يلجأ بعض الشعراء إلى الصمت ،فهذا أبو نواس يقول :

خلِّ جنْبَيْكَ لِرَامِ
مُتْ بداء الصّمْتِ خيْرٌ

وامْضِ عنه بسلامِ
لكَ من داء الكلامِ[٢٧]

دائما الشعراء يؤكدون على أهمية الصمت، وأنه أفضل من الكلام الذي يؤدي إلى السوء، وهنا أبو نواس يفضل الموت بداء الصمت على الموت بداء الكلام الذي لا يعرف عقباه .

ويقول الشافعي:

قالُوا: سَكَتَّ وقد خُوصِمْتُ، قلتُ لهم:
الصِّمْتُ عن جَاهلٍ أو أحمق شَرَفٌ
أَما تَرى الأُسْدَ تُخْشى وهي صَامِتةٌ؟!

إنَّ الجَوابَ لِبابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ
وفيه أيضاً لِصَوْنِ العِرْضِ إصْلاحُ
والكلبُ يُخْسَى– لعمري– وهوَ نَبَّاحُ[٢٨]

قد يجد الشاعر أن الصمت أفضل طريقة للجواب والرد على الخصم؛ وذلك لأن كثرة الكلام تبعث على الخلاف والمناقشات العقيمة، التي لا تؤدي إلى نتيجة، فالشاعر يرى في الصمت عن الجاهل والأحمق، شرف وصون للعرض والكرامة، كما يجد فيه هيبة ووقار، فقد أعطى لصمت الأسد وقاراً أما نباح الكلب فلا فائدة منه ولا يخافه أحد، إذن وجد الشاعر أن الصمت طريقة من طرق الجواب وفيه صيانة للنفس واللسان .

وقال الشافعي أيضاً:

إذا نَطَقَ السَّفِيهُ فلا تُجِبْهُ

فَخَيرٌ مِنْ أِجابتِهِ السُّكُوتُ[٢٩]

وهذه حكمة وعقل الشافعي الذي يوصي بعدم إجابة السفيه لأن السكوت عنه وتركه أفضل بكثير من الإجابة التي تؤدي إلى نقاش لا طائل منه .

والصمت يظهر عند أبي العتاهية بقوله:

قد أفلح السالم الصموت
ما كل نطق له جواب
يا عجبا لامرئ ظلوم

كلام واعي الكلام ممقوت
جواب ما يكره السكوت
مستيقن أنه يموت[٣٠]

يمدح الشاعر الشخص الصموت، إذ يرى ليس كل جواب في الكلام ،فبعضه يكون في السكوت، وخاصة حينما يكون الكلام مكروه مؤذي وظالم للآخرين، فالصمت والسكوت أولى من الكلام ،وهو أيضا يكون طريقة للجواب .

وقال أبو العباس الناشئ :

وإذا بُليتُ بجاهلٍ مُتَحَامِلٍ
أوْلَيْتُهُ مِنِّي السّكُوتَ وَرُبّمَا

يجدُ المحَالَ من الأُمُورِ صَوَابَا
كانَ السُّكُوتُ عَلَى الجوَابِ جَوَابَا[٣١]

هذه صورة رسمها الشاعر للصمت والسكوت، عندما يكون بديلاً عن الجواب بالكلام، فقد وجد أن سكوته عن الجواب أفضل جواب يوجه للآخر، ففضل السكوت على الجواب الذي لا يعطي المعنى المطلوب .وخاصة عند الجاهل الذي يصر على رأيه ويتمسك به ويجده صواباً ولا يقبل النقاش فلذلك السكوت أولى وأفضل.

وقال الشاعر أبو جعفر القرشي:

اسْتر النفسَ ما استطعتَ بصمْتٍ
واجْعل الصمت إن عَييتَ جواباً

إن في الصَّمت راحةً للصَّموتِ
رُبّ قولٍ جوابُهُ في السُّكوتِ[٣٢]

يرى الشاعر الصمت وسيلة للجواب عندما يعجز عن الجواب بالكلام والنطق، وربما يرى أن الكلام لا يؤدي الجواب الصحيح، فعجزه يجعله يجد أن الجواب في الصمت وهو الوسيلة المناسبة للجواب ،فهذا الصمت وسيلة لستر النفس وحفظ كرامتها . وجد الشعراء أن الجواب يكون في الصمت والسكوت لأسباب مختلفة، قد يجدونه حكمة وحلم، وقد يكون بسبب العجز ،وقد يكون هيبة لهم وذكاء، إذن يكون الجواب في الصمت في بعض الحالات أفضل من الكلام في غير موضعه.

الابتعاد عن الزلل

يقترن الصمت بالحكمة والهدوء والوقار، ويكون دلالة على الصبر والقدرة على التحمل مما يؤدي بالإنسان إلى تجنب الوقوع في الزلل والتهور، الذي يسببه الغضب وسرعة القول من دون تفكير في عواقب الأمور،إذ قال أحيحة بن الجلاح :

الصمت خير للفتى ما لم يكن عيّ يشينه
والقول ذو خطل إذا ما لم يكن لبّ يعينه[٣٣]

إن الصمت هو المحمود للإنسان إذا لم يكن ناتجاً عن عجز يضعفه ويقلل أهمية الكلام فإنه يؤدي إلى الخطل، وإذا لم يكن هناك عقل يتحكم بالكلام، ويسيطر عليه ويضعه في موضعه المناسب .

يقول الخطفي جد جرير:

عجبت لإدلال العَيِيِّ بنفسِه وصمت الذي كان بالقول أعْلَما
وفي الصَّمت سَتْرٌ للعّيِيّ وإنما صحيفةُ لُبِّ المرءِ أنْ يتكلما[٣٤]

وهنا أهمية أخرى للصمت وهذه هي ستر الغبي يكون في صمته، فإذا تكلم ظهر غبائه وجهله فالأولى به الصمت والسكوت وترك الحديث لمن يعلم به ويفهمه جيدا.

ويقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

لا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ في مَجْلِسٍ قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَاكَ يُشَنَّعُ
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنِّ بِالفَتَى وَلَعَلّهُ خَرِقٌ سَفِيهٌ أَرْقَعُ
وَدَعِ المُزَاحَ فَرُبَّ لَفْظَةِ مَازِحٍ جَلَبَتْ إِلَيْكَ مَسَاوِئاً لاَ تُدْفَعُ[٣٥]

الصمت عند الإمام علي(عليه السلام) له صورة أخرى فهو يوصي بعدم الكلام مطلقا قبل أن يسأل هذا الشخص، والصمت يظهر الصفات الحسنة ،ويجعل المرء يحسن الظن بالإنسان في صمته، حتى لو كان هذا الإنسان يحمل الصفات السيئة التي لا ترى بالصمت، وإنما تظهر فقط بالكلام، كما يؤكد الإمام على ترك المزاح، فربما لفظة يقصد من ورائها المزاح قد تجلب مساوئ لا ترد ولا يمكن إصلاحها، فلذلك يرى الإمام أن

الصمت يظهر شخصية مختلفة للإنسان، كذلك صمت الإنسان وسكوته وابتعاده عن المزاح يبعده عن الوقوع في الخطأ والزلل الذي يؤدي إلى نتائج سيئة.

ويقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً:

فَلاَ تُكْثِرَنَّ القَولَ في غَيْرِ وَقْتِهِ ... وَأَدْمِنْ عَلى الصَّمْتِ المُزَيِّنِ لِلعَقْل
يَمُوْتُ الفَتى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ ... وَلَيْسَ يَمُوتُ المُرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
وَلاتَكُمِبْثَاثاً لِقَوْلِكَ مُفْشِياً ... فَتَسْتَجْلِبَالبَغْضَاءَ مِن زَلَّةِ النَّعلِ[٣٦]

ويؤكد الإمام مرة أخرى على أهمية الصمت في الوقت المناسب، وهو دلالة على العقل والحلم والابتعاد عن كثرة الكلام في غير وقته، فعثرة اللسان قد تؤدي إلى الموت وإلى نتائج سيئة ، أما عثرة الرجل فلا يموت الإنسان منها، وهي صورة تؤكد على الالتزام بالصمت، والابتعاد عن كثرة الكلام ،والتركيز على كل ما يقوله الإنسان تجنباً للعثرات والزلل .

وكذلك نجد تأكيده (عليه السلام) على الصمت بقوله:

إنَّ القَلِيلَ مِنَ الكَلاَمِ بأَهْلِهِ ... حَسَنٌ وإنَّ كَثِيرَهُ مَمْقُوتُ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثِرٍ ... إلاّ يَزِلُّ وما يُعابُ صَمُوتُ
إنْ كَانَ مَنْطِقُ ناطِقٍ مِنْ فِضَّةٍ ... فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَـهُ ياقُوتُ![٣٧]

وهنا تأكيد آخر على قلة الكلام والابتعاد عن الكثرة التي تكون ممقوتة وسيئة، فالصمت يجنب الإنسان الزلل، أما كثير الكلام فلابد من وقوعه في الخطأ ،فلذلك لا يعاب الإنسان الصموت، ثم يوظف الحكمة التي تقول ((إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب))[٣٨] دلالة لما للصمت من اثر وأهمية أكثر من الكلام في غير محله .

وقال عبد الله بن معاوية:

أيها المرء لا تقولن قولا ... لست تدري ماذا يجيئك منه
واخزن القول أن في الصمت حكما ... وإذا أنت قلت قولا فزنه
وإذا الناس أكثروا في حديث ... ليس مما يزينهم فاله عنهم[٣٩]

إن الشاعر يؤكد على الصمت ويدعو إليه ،والكلام يجب أن يكون موزونا فالصمت أفضل أو الكلام الموزون، علما أن الشخص لا يعرف ما يجره عليه الكلام وما يؤدي إليه، فالصمت هو الأفضل عند الشاعر؛ وذلك لأنه يبعده عن الزلل والوقوع في الخطأ، ويجب الابتعاد عن كثرة الحديث والكلام غير الموزون تجنبا للخطأ والزلل .

قال حمارس بن عدي العذري:

إنَّي لأسْكُتُ عن عِلْم ومَعْرفةٍ
أخْشَى جَوابَ جَهُولٍ ليْسَ يُنْصِفُنِي

خَوْفَ الجَوابِ وما فِيهِ من الخِطِل
ولا يَهابُ الذي يَأتِيهِ مِن زَلِلِ[٤٠]

يلجأ الشاعر هنا إلى الصمت والسكوت وهو متيقن لذلك خوفا من جواب قد يكون فيه كثرة كلام في غير موضعه، كما يخشى جواب إنسان جاهل لا ينصفه ولا يهتم من قد يكون في كلامه من زلل، فلذلك يفضل الصمت الذي يبعده عن الزلل والخطأ والوقوع فيما لا يحمد عقباه.

ويقول علي بن هشام :

لعمرك أن الحلم زين لأهله
إذا لم يكن صمت الفتى من ندامة

وما الحلم إلا عادة وتحلم
دعي فإن الصمت أولى وأسلم[٤١]

في أغلب الأحيان يقترن الصمت بالحلم والعقل والرجاحة لأنه أسلم وأولى للإنسان من حديث يجره إلى المزالق والمهالك، فهنا يبين الشاعر أهمية الصمت واقترانه بالعقل .

ويقول صالح بن عبد القدوس:

ويمنعني التكلم في كثير
ومن خشي الجواب أقل نطقا

أقول لما يكون من الجواب
وإن كان المقدم في الصواب[٤٢]

يكون الصمت وقلة الكلام وسيلة في حالة عدم التأكد من الجواب وصحته، وهذه الوسيلة تعبر عن رجاحة العقل وسعته، وإن كان الأفضل الجواب بالكلام، ولكن المرء يلجأ إلى قلة الكلام، والابتعاد عن الجواب الخاطئ .

ويقول صالح بن عبد القدوس أيضاً:

وللصمت خير من كلام بمأثم فكن صامتاً تسلم وإن قلت فاعدل[٤٣]

يوصي الشاعر بالصمت فهو أفضل من الكلام في المآثم والشرور، فالصمت يؤدي إلى سلامة الإنسان وأمانه، وإن اضطر الإنسان إلى القول أن يكون هذا القول في العدل وعدم ظلم الناس .

وقال الشافعي :

لا خَيرَ في حَشوِ الكَلا مِ إذا اهتَديتَ إلى عُيونِهْ
والصَّمتُ أجملُ بالفَتى من مَنطقٍ في غيرِ حِينِهْ[٤٤]

يوصي الشاعر بالابتعاد عن حشو الكلام الذي لا طائل منه ولا نفع فيه، فالصمت يزين الفتى ،وأفضل من النطق والكلام في غير وقته، فالشاعر يؤكد على الابتعاد عن الزيادة في الكلام أو النطق في غير موضوعه؛ وذلك لكثرة ما يسببه من الأضرار .

قال أبو العتاهية :

يَخُوضُ أُنَاسٌ فِي الكَلاَمِ لِيُوجِزُوا ولَلصَّمْتُ فِي بَعْضِ الأَحَايِنِ أَوْجَزُ
إذا كُنْتَ عَنْ أنْ تُحْسِنَ الصَّمْتَ عَاجِزاً فَأَنْتَ عَنِ الإبْلاَغِ فَي القَوْلِ أعْجَزُ[٤٥]

يرى الشاعر أن الصمت يبعدك عن كثرة الكلام ،فالصمت دلالة على الإيجاز، وإذا كان الإنسان عاجزا عن الصمت في وقته وعدم الحديث، فإنه يكون عاجزاً عن إيصال فكرته بالكلام والنطق، ويكون أكثر عجزاً منه في كلامه من عجزه في صمته، وهي صورة أراد الشاعر من خلالها التأكيد على ضرورة الصمت في موضعه المناسب .

ويقول أبو العلاء المعري :

كُنْ مَنْ تشاءُ مُهَجَّناً أَو خالِصًا وإذا رُزِقْتَ غِنىً فأنتَ السَّيِّدُ
واصْمُتْ فما كَثُرَ الكلامُ مِن امرِئٍ إلاَّوظُنَّ بأنَّهُ مُتَزَيِّدُ[٤٦]

يرى الشاعر أن الصمت ضرورة لابد منها، وهي دلالة على العقل والحلم، أما كثرة الكلام فإنه تجعله يزيد من هذا الكلام ولا يتوقف، مما يجره عليه من الخطأ والزلل فالصمت أفضل للإنسان من كثرة الكلام . ويقول أبو العلاء المعري أيضاً:

أوجَزَ الدَّهْرُ في المقال إلى أنْ مَنْطِقا ليس بالنَّثير ولا الشِّعْـ ـر ولا فـ طرائِقِ الرُّجَّازِ[٤٧]

جعلَ الصَّمْتَ غايةَ الإيجاز

يرى أبو العلاء أن الصمت يكون غاية الإيجاز، فهو يوصي بالإيجاز في الكلام، والابتعاد عن كثرة الحديث الذي لا طائل منه، فجعل غاية الإيجاز في الصمت؛ لأنه دلالة على الحكمة والعقل والحلم. وقال أبو العلاء المعري أيضاً:

الصَّمتُ أولى وما رِجْلٌ مُنَعَّمةٌ والنَّقْلُ غُيَّر أَنْبَاءً سَمِعتَ بـها والعَقْلُ زَيْنٌ ولكن فوقَهُ قَدَرٌ

إلا لها بصروف الدهر تَعْثيرُ وآفةُ القولِ تقليلٌ وتكثيرُ فما له في ابتغاءِ الرزقِ تَأثيرُ[٤٨]

يرى الشاعر الصمت هو الأفضل من كثرة الكلام التي تؤدي إلى الزلل والخطأ ونقل الأخبار والإشاعات في غير موضعها، فهي من الكلام المذموم التي يؤدي إلى تأثير سيء في المجتمع، فالالتزام بالصمت والابتعاد عن الأحاديث غير الضرورية، دلالة على رجاحة العقل أما كثرة القول دلالة على زراعة السوء والخطأ في المجتمع، مما يؤدي إلى كثرة النميمة في المجتمع فالصمت نجاة من الزلل، والابتعاد عن الخلل الذي يؤذي العلاقات الإنسانية، ويبعد الإنسان عن هدفه الحقيقي في الحياة . ويقول المعري أيضاً:

إذا سَكتَ الإنسانُ قلَّت خُصومُهُ وإنْ أضْجَعَتْه الحادِثاتُ لجَنْبِهِ[٤٩]

إن سكوت الإنسان وصمته في كثير من المواقف يقلل خصومه وأعدائه، ويلجأ الإنسان إلى الصمت؛ وذلك للابتعاد عن كل ما يسببه الحديث من سوء فهم يؤدي إلى كثرة الخصوم والأعداء

وقال أحدهم :

ويا أميناً على الأسرارِ مطلعاً اصمت ففي الصمت منجاة من الزللِ[٥٠]

وهنا يوصي الشاعر بحفظ الأسرار مطلقاً مهما كانت، كما يوصي بالصمت الذي ينجي من الزلل والوقوع في الخطأ دائما، فحفظ الأسرار هو السكوت عنها وعدم نشرها حفظا للأمانة.

طلب الحاجة

كان طلب المال من الممدوحين شائعاً من خلال الشعر، أو من خلال الطلب المباشر ولكن بعض الشعراء يتعفف عن طلب الحاجة من الممدوح صراحة، فيكون الصمت هو الوسيلة التي يستعملها الشاعر عند الخلفاء والأمراء والممدوحين الآخرين، فهذا المتنبي يقول:

وَفي النَّفْسِ حَاجَات وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَها وخِطَابُ[٥١]

يلجأ المتنبي إلى السكوت على الرغم من حاجاته التي يطلبها من كافور، ولكن كرامته وعزة نفسه تمنعه من البوح بها وطلبها بلسانه، وهو يشير هنا إلى ذكاء كافور وفهمه لهذه الحاجات من خلال سكوته عنها ، الذي يرى في هذا السكوت نوع من الخطاب الذي يفهمه الإنسان الفطن الذكي

،ففي نفسه حاجات لا ينبعث بها لسانه وكافور من الفطانة بحيث يدركها دون أن يذكرها فسكوته عنها يقوم مقام الإفصاح عنها، فالمتنبي الذي عرف عنه عزة نفسه تضخم الذات عنده منعته من طلب الحاجة فكان الصمت وسيلة هذا الطلب . ويقول شاعر آخر:

حَظّي يقصّر بي عن كلِّ مَكْرُمةٍ ولا تُقَصّر عن نَيْلِها هِمَمي
سأَلْزمُ الصَّمْتَ ما دامَ الزمانُ كذا وامنعُ الدهرَ مِنْ نطقِ اللّسانِ فَمي
إنْ لامني لائمٌ في الصَّمتِ قلتُ له: حَبْسُ الفتى نُطْقَهُ حِرْزٌ مِنَ النَّدَمِ[٥٢]

لدى الشاعر حاجات ومطالب، لكن حظه يجعلها صعبة المنال على الرغم من جهده ومثابرته وهمته، ولكرامته وعفة نفسه نجد الشاعر يلزم الصمت ولا يبوح بها ما دام الدهر هكذا معه، فمنع لسانه من طلبها مهما اشتدت حاجته إلى هذه المطالب، فالصمت

هنا دلالة على كرامة الشاعر وعفته وابتعاده عن التزلف والتذلل ،وجعل الصمت هنا حرز من الندم فالصمت كان حفاظا على ماء وجهه أفضل من الندم على التذلل والاهانة التي قد يتعرض لها الشاعر نتيجة تزلفه.

تجنب الصمت

قد يمر الإنسان بمواقف تستدعي الكلام وعدم السكوت، إذ قد يدل الصمت على العي والضعف والتخاذل، فالإنسان يحتاج إلى الكلام والدفاع عن حقوقه، كما يجب عدم السكوت عن ذكر محاسن الآخرين وأفعالهم وما قاموا به من أعمال ومآثر، تدل على أخلاقهم وجودهم وكرمهم، فقد يكون الصمت غير مطلوب في بعض المواقف، وقد لا يستطيع الإنسان الصمت والكتمان دائما فيحتاج إلى البوح والتعبير عما في داخله من مشاعر على اختلاف هذه المشاعر وتأثيرها، وقد صور الشعراء بعض هذه المواقف ،فيقول أُحيحة ابن الجلاح :

والصمت خير للفتى ما لم يكن عي يشينه[٥٣]

الشاعر يؤكد على أهمية الصمت ولكن هذا الصمت يكون غير محمود إذا كان ناتجاً عن عجز أو ضعف يبعده عن الهدف الحقيقي للصمت عندما يكون الإنسان في موقف قوة . ويقول مُحرِز بن علقمة:

صموتاً في المجالس غير عَيٍّ جديراً حين ينطق بالصّوابِ[٥٤]

وهنا الشاعر يؤكد على الصمت ولكن من غير عجز أو ضعف أو يكون الجواب بالكلام أولى وأفضل في هذا الموقف .ويقول قعنب بن أم صاحب:

صُمٌّ إذا سمِعُوا خيراً ذُكِرْتُ بِهِ
وإن ذُكِرْتُ بشرٍّ عِنْدَهُم أَذِنُوا
إنْ يسمعُوا رِيْبةً طارُوا بها فَرحاً
عني وما سمِعُوا منْ صالحٍ دَفنُوا[٥٥]

هنا يقدم الشاعر صورة من صور ذم الصمت في وصفه لقومه الذين ينشرون الأخبار السيئة التي تصيبه ويفرحون بها، أما إذا مدح الشاعر أو أصاب خيرا فأنهم يصمون عنه ويدفنوه ويكتموه، وهي صورة مذمومة للصمت عندما يكون في غير موضعه وظفها الشاعر في وصف قومه وموقفه منهم

ويقول المعري:

قد يُحْسَبُ الصَّمْتُ الطويلُ من الفتَى حِلْماً يُوقِّرُ ،وهو فيه تخلُّفُ[٥٦]

ذكرنا سابقاً أن المعري كثيرا ما كان يؤكد على الصمت وأهميته ودلالته، ولكنه في هذا البيت له رأي مختلف ؛لأن الصمت عندما يطول فهو دلالة على ضعف الإنسان وعجزه وتخلفه وعدم قدرته على الكلام والمواجهة، لذلك يلتزم الصمت ،فالمعري لا يفضل الصمت عندما يكون دلالة على العجز والضعف .ويقول شاعر آخر عن الإخوان:

بَرِحَ الخَفَاءُ فَبُحْتُ بِالكِتْمانِ وَشَكَوْتُ ما أَلْقَى إِلَى الإِخْوَانِ
لَوْ كَانَ مَا بي هَيِّناً لَكَتَمْتُهُ لَكِنَّ مَا بي جَلَّ عَنْ كِتْمَانِ[٥٧]

وصف الشاعر موقفه من أخوانه وما لاقاه منهم، فهنا يصف معاناته التي جعلته يلجأ إلى الكلام ،وعدم قدرته على تحمل الصمت وكتمان معاناته، نتيجة ما حل به من هؤلاء الإخوان للدلالة على حجم محنته وشدتها التي يستحيل معها الكتمان والصمت .

ينصح الشعراء بتجنب الصمت وعدم احتماله؛ وذلك عندما يدل على العجز والضعف، وعندما يؤدي إلى الظلم أو حينما يؤدي إلى إخفاء الصفات الحسنة عن الناس وعد ذكر المفاخر ،وإنما تذكر السيئات فقط.

الخاتمة

وفيما يأتي عرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث :

– من خلال الاطلاع على المعجمات ورد مصطلح الصمت بمعنى السكوت أو إطالة السكوت أو التوقف عن الكلام .

– قد تعني الإشارة في شعر الغزل صمت اللسان عن الكلام وتكون وسيلة المخاطبة الإشارة بالعين أو الحاجب .

– يستعمل الصمت للدلالة على الحلم والعقل .

– لجوء الشاعر إلى الصمت للحماية من الزلل والعثرات والأخطاء .

– قد يلجأ الشاعر إلى الصمت وعدم البوح بحاجته حفاظا على كرامته .

– يذم الصمت في غير موضعه عندما يدل على الضعف، أو عجز الإنسان عن كتمان مشاعره، أو عندما يكون الصمت والسكون عن نشر ما يقوم به الناس من أفعال الخير والكرم والشجاعة ، ولذلك نصح الشعراء بتجنب الصمت في هذه المواقف.

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣٠٨/٣(صمت).
(٢) ينظر: لسان العرب: ٥٤/٢(صمت)،
(٣) ينظر: جمهرة اللغة: ٤٠٠/١ (صمت)
(٤) تهذيب اللغة: ١١١/١٢.
(٥) مدخل إلى الصمت في النص السردي:٤.
(٦) سورة الأنعام :الآية ٣٩.
(٧) سورة النحل :الآية ٧٦.
(٨) كتاب الزهد الكبير: ٩٥.
(٩) شعب الإيمان: ١٧/٧.
(١٠) صحيح مسلم: ١٣٥٢/٣.
(١١) ينابيع الحكمة:٥٢٩.
(١٢) البيان والتبيين:٧٧/١.
(١٣) البيان والتبيين:١١٥/١-١١٦.
(١٤) البيان والتبيين:١٩٤/١.
(١٥) البيان والتبيين :١٩٤/١
(١٦) مجموع رسائل الجاحظ:١٤٠.
(١٧) دلائل الإعجاز:١٤٦/١.
(١٨) نقد الشعر: ١٥٢،،
(١٩) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي:١٩٦
(٢٠) ديوان كثير عزة:٣٧٠.
(٢١) الأغاني:١٤/٢
(٢٢) ديوان بشار بن برد:١٦٦/٤.
(٢٣) ديوان العباس بن الأحنف:٢٨٢.
(٢٤) ديوان العباس بن الأحنف:٢٤٣.
(٢٥) ديوان البحتري:٢٠٠٠/٣.
(٢٦) المثل السائر:٨٨/٢.
(٢٧) ديوان أبي نواس:٦٢٠
(٢٨) ديوان الإمام الشافعي :٤٢.
(٢٩) ديوان الإمام الشافعي:٣٤.
(٣٠) أبو العتاهية أشعاره وأخباره:٥١٢.
(٣١) بهجة المجالس وانس المجالس:٤١٣/١.
(٣٢) الموشى أو الظرف والظرفاء:٧
(٣٣) ديوان أحيحة بن الجلاح:٨٣
(٣٤) البيان والتبيين:٢٢٠/١
(٣٥) ديوان الإمام علي بن أبي طالب:١٠٦-١٠٧.
(٣٦) ديوان الإمام علي بن أبي طالب:١٢٩
(٣٧) ديوان الإمام علي بن أبي طالب:٤٩.
(٣٨) البيان والتبيين:١١٩/١.
(٣٩) تاريخ الطبري : ١٦٨/٤
(٤٠) الحماسة البصرية:٦٠/٢.
(٤١) بهجة المجالس وانس المجالس:٥٨٧/٢.
(٤٢) صالح بن عبد القدوس البصري:١٤٧.
(٤٣) صالح بن عبد القدوس البصري:١٤٧
(٤٤) ديوان الإمام الشافعي :١٢٣.
(٤٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره:١٨٦.
(٤٦) شرح اللزوميات:٣٧٨/١
(٤٧) شرح اللزوميات:٣٠٤/٢.
(٤٨) شرح اللزوميات:٨١/٢.
(٤٩) شرح اللزوميات:١٧٩/١
(٥٠)خزانة الأدب وغاية الأرب :١٨٨/١.

(٥١) شرح ديوان المتنبي:٣٢٤/١.
(٥٢) حسن الصمت من الصمت:٦٨
(٥٣) ديوان أحيحة بن الجلاح:٨٣.
(٥٤) البيان والتبيين :٥/١
(٥٥) شعر قعنب بن أم صاحب:٥٠.
(٥٦) شرح اللزوميات:٣٩٥/٣
(٥٧) مجمع الأمثال:٩٥/١

المصادر والمراجع :

– أبو العتاهية أشعاره وأخباره تحقيق ،د.شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق،سوريا،١٩٦٥م.
– الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٢٨م.
– بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري(ت٤٦٣هـ)،تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.
– البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)،مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨ م.
ـ تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،ا لطبعة الثانية،١٩٧٠م .
– تهذيب اللغة، محمد بن احمد الأزهري الهروي(ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
– جمهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي(ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

– حسن السَّمت في الصَّمت ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف،ا لطبعة الأولى،١٩٨٥م.

– الحماسة البصرية،صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري(ت٦٥٩هـ)،تحقيق د. مختار الدين احمد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدر آباد ،الهند، ا لطبعة الأولى،١٩٦٤م.

– خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي أبو بكر الحموي، تحقيق عصام شيغو، دار مكتبة الهلال ،بيروت ،١٩٨٧م.

– دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

– ديوان أبي نواس(الحسن بن هانئ)،تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي ، بيروت

– ديوان احيحة بن الجلاح، تحقيق حسن باجودة، نادي الطائف الأدبي،الطائف،١٩٧٩م.

– ديوان الإمام الشافعي،اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي،دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.

– ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه،اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت،الطبعة الثالثة،٢٠٠٥م.

– ديوان البحتري،تحقيق حسن كامل الصيرفي،دار المعارف،القاهرة ،الطبعة الثالثة.

– ديوان بشار بن برد،شرح وتكميل محمد الطاهر ابن عاشور،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦٦م.

– ديوان العباس بن الأحنف،شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي،مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٥٤م.

– ديوان كثير عزة ،جمعه وشرحه د. إحسان عباس،دار الثقافة ،بيروت،١٩٧١م.

– شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة ،مصر،الطبعة الأولى،١٩٥٢م.

– شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٨٦ م.

– شرح اللزوميات ،أبو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعري (ت٤٤٩هـ)،تحقيق سيدة حامد ومنير المدني وزينب القوصي ووفاء الاعصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، ١٩٩٢م.

– شعر قعنب بن أم صاحب،جمع ودراسة إبراهيم بن سعد الحقيل،معهد المخطوطات العربية، القاهرة،الطبعة الأولى،٢٠١٨م.

–شعب الإيمان،احمد بن الحسين البيهقيّ (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على التحقيق: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.

– صالح بن عبد القدوس البصري،تأليف وجمع وتحقيق عبد الله الخطيب،دار منشورات البصري ، بغداد،١٩٦٧م.

– صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

– كتاب الزهد الكبير، احمد بن الحسين البيهقيّ (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافيّة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

– لسان العرب،جمال الدين ابن منظور(ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

–المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين بن محمد ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،بيروت،١٩٩٥م.

– مجمع الأمثال ،أبو الفضل احمد بن محمد الميداني(ت ٥١٨هـ)،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، مصر ،١٩٥٥م.

– مجموع رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ،حقق نصوصه وقدم لها وعلق عليها د.محمد طه الحاجري ،دار النهضة العربية ،بيروت،١٩٨٣م.

– مدخل إلى الصَّمت في النص السردي، د. محيي الدين حمودي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكيرة، عدد: ٨. (بحث)

– معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر ، دمشق، ١٩٧٩م.

– الموشّى أو الظرف والظرفاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء،تحقيق كمال مصطفى،مطبعة الاعتماد ،مصر ،مكتبة الخانجي ،مصر ،الطبعة الثانية ،١٩٥٣م.

– نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينة، ط١، ١٣٠٢هـ.

– ينابيع الحكمة، إسما